

عنوان المحاضرة: مقاومة النوميديين والمور للاحتلال الروماني

عناصر الموضوع:

تمهيد

ثورات النوميديين بعد وفاة ماسينسا

- حرب يوغرطة 112-105 ق.م
- ثورة يوبا الأول 46 ق.م
- ثورة ارابيون 44-40 ق.م
- ثورة تاكفاريناس 17-24 م
- ثورة ايدمون 40-42 م

ثورات القرنين الثالث و الرابع

- ثورة قبائل البوار و قبائل الحلف الخماسي والحركة الدونانية
- ثورة الدوارون أو الثورة الريفية
- ثورة فيرموس و أخوه جيلدون

اعتمدت روما في احتلالها لبلاد المغرب القديم على مراحل وسياسة معينة ويظهر في البداية التدخل في شؤون المنطقة وهو احتلال غير مباشر لتظهر نواياها الحقيقية باحتلال المنطقة احتلالا مباشرا حيث كانت في البداية تعتمد على سياسة المصالح المتبادلة بينها وبين حكام المنطقة و كان ذلك فترة حكم الملك ماسينيسا ومن بعده ابنه مكيبسا ثم انتقلت إلى مرحلة الند للند وكانت في عهد الملك يوغرطة وبعدها فترة ضعف وتبعية ملوك بلاد المغرب حيث اعتمدت على الدهاء السياسي والقوة العسكرية والترغيب وكانت بعد القضاء على الملك يوغرطة إلى القضاء على يوبا الأول ونهاية مملكة نوميديا لتبقى مملكة موريطانيا في الأخير والتي لم تكن سوى مملكة تخدم المصالح الرومانية والتي أجلت روما احتلالها والذي سيكون مع بداية القرن الأول ميلادي

بعد اغتيال آخر ملوكها بطليموس سنة 40م لتعلن بذلك روما ضم كامل مناطق المغرب القديم إلى أملاك الإمبراطورية الرومانية .

لكن مقاومة سكان بلاد المغرب لن تتوقف وستستمر طيلة فترة الاحتلال الروماني ودخول الاحتلال الوندالي الذي وجد المساعدة الكبيرة من السكان المحليين بع بداية القرن الخامس ميلادي وفيما يلي بعض مقاومات المحلية لسياسة الاحتلال الروماني :

- حرب يوغرطة 105-112ق.م

ولد الملك يوغرطة حوالي 106 ق.م لم تصلنا معلومات كثيرة عن تربيته ومشاته غير التي ذكرها ساليستوس في مؤلفه حرب يوغرطة *la guerre de jugurtha* حيث وصفه هذا الأخير بما يلي " كان قويا في شبابه جميلا مولعا بركوب الخيل والرماية والسباق وكان يقضي جل أوقاته في الصيد خاصة صيد الأسود " كما كان يوغرطة متواضعا وشديد الحب للعمل والتعاون مع بني جلدته الأمر الذي جعله محل احترام لدى النوميديين وأصبح له شعبية واسعة بينهم الأمر الذي دفع بعمة مكيسا إلى تبنيه وأصبح ابنا شرعيا يحق له في الملك إلى جانب ابنه اذربعل وهيمبصال توفي يوغرطة سنة 104ق.م

بعد وفاة الملك مكيسا سنة 118 ق.م حدث صراع على العرش بين الأبناء الثلاثة حيث سعى يوغرطة إلى قتل هيمبصال الذي كان يحقد عليه كثيرا والذي تكلم في عدم أحقية يوغرطة في الملك بعد أن فشل في إقناعهم بضرورة إلغاء الامتيازات التي منحها أبوهم للرومان و التجار الايطاليين في الخمس السنوات الأخيرة قبل وفاته وعندما لم يتفق الثلاثة على حل يرضيهم استطاع يوغرطة قتل هيمبصال سنة 117 ق.م

بوفاة هيمبصال سيقوم يوغرطة وابن عمه اذر بعل باقتسام نوميديا إلى قسمين بتدخل من مجلس الشيوخ الروماني بعد أن اكتشفوا نوايا يوغرطة في القضاء على مصالح الرومان في نوميديا حيث سيأخذ يوغرطة الجزء الغربي واذربعل الجزء الشرقي محاذة لمقاطعة إفريقيا الرومانية ابتداء من سنة 116ق.م

ويبدو أن التقسيم الذي كان ربما بإيعاز من روما لم يعجب بوغرطة وسعى إلى القضاء على اذربعل و الاستيلاء على كامل نوميديا وتوحيدها وإرجاعها كما كانت في عهد جده ماسينيسا وقد استطاع يوغرطة من إلقاء القبض على اذربعل وقتله واحتلال سيرتا وتوحيد نوميديا سنة 112ق.م ولم يتوانى في قتل الجالية و التجار الايطاليين في سيرتا وهو الأمر الذي لم يعجب الرومان و الذي صرب مصالحهم وبعد عدة لقاءات بين الطرفين أعلنت روما الحرب على يوغرطة سنة 112ق.م.

- مراحل الحرب :

أرسلت روما قرابة أربعين ألفا بقيادة بستيا bestia إلى ولاية إفريقيا الرومانية وكان ذلك سنة 111 ق.م وفور وصوله بدا يتحرك باتجاه نوميديا استطاع إخضاع مناطق منها، لكنه توقف بعد ذلك بعد أن عقد معاهدة صلح مع يوغرطة اعترف له فيه بالسيادة على كامل نوميديا باستثناء لبدة الكبرى مقابل أن يدفع يوغرطة مبلغا من المال والمواشي و الخيول و الفيلة والظاهر أن باستيا لم يستطع إخضاع الملك يوغرطة لدهائه وقوته في إدارة المعارك الأمر الذي اجبره على توقيع معاهدة الصلح .

- ثم أرسلت روما قائدا آخر إلى إفريقيا سنة 110 ق.م يدعى سوبرينوس بينوس على رأس أربعين ألفا من الجنود وكانت مهمته القضاء على الملك يوغرطة إلا انه لم يصمد أمام الضربات القوية وسياسة الكر و الفر التي انتهجها الملك يوغرطة للقضاء على الجيوش الرومانية فاستدعت روما بينوس وعينت مكانه أخوه اوليوس بينوس إلا انه فشل هو الآخر ومني بشر هزيمة سنة 109 ق.م .

ونظرا للهزائم التي مني بها الجيش الروماني عينت روما قائدا جديدا على رأس الجيش هو القنصل ميتلوس ومعه ضابطين مساعدين ريتيلوس وماريوس ونزلوا بإفريقيا أواخر سنة 109 ق.م وقد عمل القائد الجديد على تنظيم الجيش وتقسيم وحداته وبدا يسير حيث استطاع احتلال مدينة باجة ومنه سار إلى واد المشول (واد ملاق بتونس) وقد الحق يوغرطة هزائم بالجيش الروماني في هذه المنطقة وقام بتسميم منابع المياه والإعشاب حتى لا يستغلها الرومان واستطاع يوغرطة استرجاع باجة التي احتلها الرومان والتي سيسيطرون عليها مرة أخرى لينسحب بعد ذلك إلى الغرب ويعقد تحالفات مع صهره بوخوس ملك موريطانيا ويقوما بشن حربا مشتركة ضد روما .

و في هذه الأثناء قامت روما بتعيين قائد جديد على رأس الجيش الروماني هو القائد ماريوس خلفا لميتلوس حيث أعاد تقسيم الجيش و تنظيمه وقد جرت معارك كثيرة بين الطرفين بنواحي سيرتا حيث تأكد من خلالها ماريوس صعوبة القضاء على يوغرطة رغم انه قد وصل إلى غاية نهر الملوية في تعقبه للملك يوغرطة وعندما لم يستطع ماريوس القضاء على يوغرطة سلك أسلوبا آخر في ذلك وهو عقد تحالف مع بوخوس ملك موريطانيا والتأمر للقضاء على يوغرطة مقابل مكاسب مادية يستفيد منها بوخوس ، حيث اقتضت المكيدة إقناع يوغرطة من طرف صهره على ضرورة التفاوض مع الرومان لإنهاء الحرب بين الطرفين وتم تدبير الأمر بالقضاء على يوغرطة بتأمر من صهره بوخوس وتم القضاء عليه سنة 105 ق.م حيث تم نقله إلى روما وتم الاحتفال بالنصر الذي حققته روما بالقضاء على يوغرطة الذي توفي بالسجن هناك سنة 104 ق.م .

- ثورة يوبا الأول 47-46 ق.م:

من بين أسبابها انه حدث صراع في روما بين القنصلين ويصطلح عليها أيضا بالحرب الأهلية الأولى بين بومبي pampius و قيصر césarius حيث انعكس هذا الصراع على إفريقيا التي كان يحكم نوميديا فيها يوبا الأول حيث انحاز وتحالف هذا الأخير مع بومبي ضد قيصر الذي تحالف معه بوخوس الثاني وبوغيدا ملك موريطانيا وكان هذا التحالف مبني على مصلحة نوميديا حيث رأى في ذلك يوبا الأول أن قيصر و أنصاره يسعون إلى التوسع في نوميديا عكس ما كان يدعوا إليه بومبي و أنصاره في عدم التوسع في نوميديا والاكتفاء بالأراضي التي ورثوها عن قرطاج.

- ارسل قيصر قائدة كوريون curion إلى إفريقيا سنة 49 ق.م للقضاء على أنصار بومبي لكن يوبا الأول استطاع من الانتصار عليه والحق به الهزيمة، الأمر الذي أثار قيصر وعزم على احتال نوميديا و القضاء على ملكها حيث نزل بإفريقيا في سنة 47 ق.م ومعه حوالي عشر فرق من المشاة وثلاثة من المشاة الخفيفة العدة وأربعة آلاف فارس كما انضمت إليه قوات ملك موريطانيا بوخوس الثاني وانضم إليه أيضا المرتزقة الايطاليين المقيمين بموريطانيا بقيادة ستيوس sittius وكان عدد جنود يوبا الأول حوالي ثلاثين ألف جندي مشاة وخمسة عشر ألف من الفرسان وستون فيلا انضمت إلى قوات بومبي التي كان عددها عشر فرق من الرماة و المشاة وحوالي خمسة عشر ألف من الخيالة واسطول بحري يضم 50 سفينة .

- دارت المعارك بين الطرفين وكان جل انتصاراتها لصالح قيصر وحلفاءه خاصة منها معركة رأس ديماس سنة 46 ق.م التي كانت فاصلة بين الطرفين وفتحت الباب في انتصارات جديدة لقيصر وأمام هذه الانهزامات التي مني بها يوبا الأول وأنصاره لم يتمكن من الصمود كثيرا حيث انسحب إلى مدينة زامة التي رفض سكانها استقباله ومساعدته الأمر الذي أدى به إلى الانتحار حتى لا يقع في أيدي الرومان سنة 46 ق.م.

- ثورة ارابيون 44-40 ق.م :

بعد الانتصار الكبير الذي حققه قيصر والتوسع في نوميديا فر ارابيون ابن ماسينيسا الثاني إلى اسبانيا على اثر التوسعات التي قام بها ملك موريطانيا بوخوس الثاني والتي وصل من خلالها إلى الوادي لكبير ampsaga ، وعندما قتل قيصر سنة 44 ق.م عاد ارابيون إلى إفريقيا وأعاد التحالف مع البومبيين وتنظيم صفوفهم ، استطاع استرجاع جزء من الأراضي التي سيطر عليها بوخوس الثاني وقتل زعيم المرتزقة الايطاليين ستيوس حيث نتج عن ذلك ضم الكونفيدرالية السرتية التي كان يسيرها ستيوس إلى مقاطعة إفريقيا الجديدة سنة 44 ق.م.

- غير أن الحاكم الروماني لإفريقيا الجديدة خاف من اربيون وقوته التي لا يستهان بها بعد أن متن أركان مملكته التي أحيائها يكون مصيره كمصير الآخرين، لذلك قرر سيكستوس أن يضع حدا لطموحات الأمير النوميدي فأوعز باغتياله وكان ذلك سنة 40 ق.م وبوفاته انتهت ثورة اربيون.

- ثورة تاكفاريناس 117-124 م:

مع تزايد نفوذ روما في بلاد المغرب بعد القضاء على الملك يوبا الأول و ضم الجزء الشرقي من نوميديا إلى الأراضي الرومانية وتوسعاتها الداخلية نحو الجنوب اصطدمت بثورات عنيفة منها ثورة تاكفاريناس والذي كان قبل أن يثور ضد روما يعمل كمساعد في الفرق الرومانية .

و من الممكن إلى حد كبير أن سبب انسحابه من الجيش الروماني وإعلانه الحرب كان بسبب السياسة التي انتهجتها روما في مصادرة أراضي القبائل الاوراسية التي هو احد أفرادها حيث سيتحالف معه عدد كبير من القبائل المجاورة من الشرق و الغرب لان مصيرهم سيكون واحد وقد انضم إليه قائد القبائل المورية مازيبا maziba ما يؤكد ذلك هو النداء الذي وجهه تاكفاريناس للإمبراطور الروماني تيبيريوس في ضرورة إعادة الأراضي التي سلبتها روما من أصحابها في الإقليم الاوراسي و الانسحاب منها مقابل إيقاف ثورته ضد الرومان .

من بين الأسباب أيضا كما قام الرومان بشق الطرقات كإنشاء طريق بين قفصة وتبسة على أراضي المسلمين، وفصل بذلك قبائل الموسلامي عن جيرانهم الكنتيين(هم قبيلة كبيرة تتمركز بجوار السرت الصغير) والجيوليين وما ترتب عنه الحد من حريتهم، ومن التجارة بين الشمال والجنوب، وكذا التنقل من الجنوب إلى الشمال للرعي في فصول يقل فيه الرعي.

كون تاكفاريناس جيشا قويا من مختلف القبائل التي انضمت إليه واعتمد على القبائل الجيتولية وقام بتنظيمهم عسكريا وقسم جيشه إلى مشاة وفرسان وكلف حليفه مازيبا بإتباع أسلوب الكر و الفر وهو حرب العصابات الذي أرهق الرومان كثيرا جنود مسلحون مدربون وفق أساليب رومانية تحت قيادة تاكفاريناس شكلت ثورة تاكفاريناس هلعا كبيرا في صفوف الجيوش الرومانية حيث أربك الأباطرة الرومان و لم تستطع الفرقة الاغسطية الثالثة من القضاء عليه بل وقد استطاع محاصرتها في الكثير من الثورات الأمر الذي حتم على الرومان استدعاء الفرقة الاسبانية التاسعة بقيادة سكيبيو وعينت روما قناصلا أقوياء للقضاء على تاكفاريناس لكنهم لم ينجحوا في ذلك وقد كسب تاكفاريناس تأييدا كبيرا من القبائل الاوراسية والمورية حيث كان دائم الانسحاب إلى المناطق الداخلية لتنظيم صفوفه ثم الظهور بقوة مستعملا في ذلك الكر و الفر .

- ومع طول مدة ثورة تاكفاريناس عينت روما قائدا يدعى بلاسيوس هذا الأخير الذي فهم إستراتيجية تاكفاريناس في الحرب حيث استعمل نفس أسلوبه وقسم فيالقته إلى فرق صغيرة والفرق إلى كتائب حتى يسهل التنقل و محاصرة تاكفاريناس لكنه لم يستطع القضاء عليه فعينت روما قائدا يدعى دولابيللا سنة 22م اتبع نفس أسلوب تاكفاريناس واستمال بعض قبائل الموزولامي واستطاع ترضيتهم كما تلقى مساعدات من بطليموس حيث استطاع بذلك إجبار تاكفاريناس على الانسحاب إلى ضواحي اوزيا (سور الغزلان حاليا) وفي معركة حاسمة هناك قتل الملك تاكفاريناس لنتهي بذلك ثورته التي دامت السبع سنوات أذاق فيها الرومان هزائم عديدة .

- ثورة ايدمون 40-42م :

على اثر حادثة اغتيال الملك بطليموس من طرف الإمبراطور الروماني كاليغولا عمت الاضطرابات والفوضى المملكة الموريطانية حيث تجمع الثائرون تحت قيادة احد المقربين للملك ومن حاشيته يدعى ايدمون Aedemon الذي قرر الثأر لاغتال بطليموس ومن بين أسباب الثورة هو تدمير سكان بلاد المغرب من السياسة الاستيطانية الرومانية في المنطقة و الإعلان عن إلحاق كامل بلاد المغرب للإمبراطورية الرومانية وأمام عجز الجيوش الرومانية في إفريقيا للقضاء على هذه الثورة تم استدعاء قوات إضافية من شبه الجزيرة الايبيرية وقد وصل عدد الجيش إلى 20 ألف جندي خصصوا لاحتلال موريطانيا و القضاء على الثورات فيها بما فيها ثورة ايدمون حيث لم تحمد الثورات إلى غاية القضاء على ايدمون سنة 42 م .

- ثورات قبائل البوار و قبائل الحلف الخماسي و الدوناتيون :

كانت موريطانيا القيصرية موطننا للعديد من الاضطرابات خلال القرن الثالث الميلادي، ومنها تلك التي شاركت فيها قبائل البوار bavares التي يذكر العربي عقون أنها قرية في إقليم النمامشة في الاوراس الشرقي وينقسمون إلى البوار الغربيون المنتشرين في ضواحي تلمسان والبور الشرقيون متواجدون في منطقة بابور وقد تحالفوا مع قبائل الحلف الخماسي في النصف الثاني من القرن الثالث الميلادي التي اشتدت بين سنوات 253م حتى 260م، وبين 289م حتى 298م كانت تهدف إلى التخلص من السيطرة الرومانية والحصار الذي فرض على السكان المحليين وسياسة الاستيلاء على الأراضي الزراعية كما ظهرت الثورة الدوناتية المنشقة عن الكنيسة الكاثوليكية والتي كان لها تأثير كبير في إشعال الثورات في بلاد المغرب و التي تبناها السكان المحليين .

- ثورة الدوارون او الريفيون :

أدت السياسة التعسفية وكثرة الضرائب التي فرضها الرومان على سكان المغرب القديم إلى اندلاع ثورات متعددة في كامل المنطقة منها ثورة الدوارون التي شملت فئات متعددة من السكان حيث ذكرت لأول مرة من طرف الأسقف اوبطاميلي ، حيث يقول عنهم مونصو monceaux أنهم مجرد مغامرين وعبارة عن عصابات متكونة من مجموعة من الجياع و الفقراء كاثوليك مفصولين عن الكنيسة .

ويرى محمد البشير شنيبي أن الدوارون لم يكونوا لصوصا كما يزعم البعض من المؤرخين ولا قطاع طرق إنما تمردهم كان نتيجة الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية المزرية وقد تحالف الدوارون مع الدوناتيون وخاضوا معارك عديدة وانتقلت الدوناتية من حركة دينية إلى تنظيم مسلح بمساعدة الدوارون استمرت طيلة القرن الرابع وبداية القرن الخامس حيث نجد الدوناتيون يتحالفون مع الوندال في حملتهم على بلاد المغرب .

- ثورة فيرموس واخوه جيلدون :

كما لا يدكن إغفال الصراع الذي كان قائما بين الدوناتيين والكاثوليك، والذي كان له أثر في تقسيم بلاد المغرب القديم إلى فريق مؤيد للكنيسة الكاثوليكية التي تساندها السلطات الرومانية، وفريق متحالف مع الكنيسة الدوناتية كان بحكم الظروف القاسية التي يعيشها أكثر استعدادا للانضمام إلى المعارضين لسلطات الاحتلال والذين كان يتزعمهم فيرموس firmus ويبدو أنه لا مبرر للفصل بين تلك الأسباب جميعا، فقد تداخلت وتفاعلت في صياغة هذا الحدث التاريخي، ويؤكد ذلك (كانيا) في أن ثورة (فيرموس التي اندلعت ما بين 372-375م تعود لأسباب دينية ومطالب استقلالية وانتقام شخصي وقد امتدت ثورته من جيغل لومبار شرقا إلى تنس و الشلف غربا واوزيا و مسيلة جنوبا

استطاع فيرموس أن يحرز على عدة انتصارات حيث اقتحم عاصمة المقاطعة (قيصرية) فخرها ، وتمكن من الاستيلاء على (إيكوزيوم)، وحاصر تيبازة ، وسيطر على المدن الواقعة بسهول متيجة ومنطقة القبائل وعلى سهول الشلف والجبال المجاورة لذا، ووصل إلى - كارتناي وأوزيا - فكانت رغبة الاستقلال بموريطانيا القيصرية.

استمرت حالة الاضطرابات بموريطانيا القيصرية بعد ثورة (فيرموس)، إذ لم تمض عشرون سنة عن مضيها حتى اندلعت ثورة يقودها جيلدون Gildon بين سنوات 396-398م ضد السلطة الرومانية، وقد استطاع جيلدون أن يحجز السفن المحملة بالقمح التي كانت ستبحر نحو إيطاليا و كاد الحصار الاقتصادي الذي فرضه (جيلدون) أن يحدث مجاعة بعاصمة الإمبراطورية، بحيث ارتفع سعر القمح، واختفى من أسواقها، وتأخرت الدولة عن دفع رواتب الجند التي كانت تدفع نسبة منها قمحا